[٥] متاع الدنيا وزينتها

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) ﴾ [القصص : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) ﴾ [الشورى : ٣٦] .

« إن في هذه الأرض متاعاً جذاباً براقاً ، وهناك أرزاق وأولاد وشهوات ولذائذ وجاه وسلطان ، وهناك نعم آتاها الله لعباده في الأرض تلطفاً منه وهبة خالصة ، لا يعلقها بمعصية ولا طاعة في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان يبارك للطائع - ولو في القليل - ويمحق البركة من العاصي ولو كان في يده الكثير .

ولكن هذا كله ليس قيمة ثابتة باقية ، إنما هو متاع ،

متاع محدود الأجل لا يرفع ولا يخفض ولا يُعد بذاته دليل كرامة عند الله أو مهانة ، ولا يعتبر بذاته علامة رضى من الله أو غضب ، إنما هو متاع .

﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ .

خير في ذاته ، وأبقى في مدته ، فمتاع الحياة الدنيا زهيد حين يقاس إلى ما عند الله ، ومحدود حين يُقاس إلى الفيض المنساب ، ومتاع الحياة الدنيا معدود الأيام ، أقصى أمده للفرد عمر الفرد، وأقصى أمده للبشرية عمر هذه البشرية ،وهو بالقياس إلى أيام الله ومضة عين أو تكاد» [(١)] .

وفصَّل الله تبارك وتعالى للناس متاع الحياة الدنيا وزينتها .

قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ

(١) « في ظلال القرآن » (٥ / ٣١٦١) .

عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) ﴾ [الكهف : ٤٦] .

« يخبر تعالى عما زُين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ »[١] .

﴿ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ .

« بدأ بهن لكثرة تشوّق النفوس إليهن ؛ لأنهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال ، قال رسول الله ﷺ : « **ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء** »[٢] .

ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء ويقال : فى النساء فتنتان ، وفي الأولاد فتنة واحدة ، فأما اللتان فى النساء :

فإحداهما : أن تؤدي إلى قطع الرحم : لأن المرأة تأمر

---

(١) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٣) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخاري ومسلم .

زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات .

والثانية : يُبتلى بجمع المال من الحلال والحرام .

وأما البنون ، فإن الفتنة فيهم واحدة ، وهو : ما ابتُلي بجمع المال لأجلهم »[١] .

﴿ **وَالْبَنِينَ** ﴾ .

« وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة ، فهو داخل في هذا ، وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له ، فهذا محمود ، كما ثبت في الحديث[٢] . « **تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم** »[٣] .

﴿ **وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ** ﴾ .

﴿ **وَالْقَنَاطِيرِ** ﴾ : جمع قنطار ... ، وهو العُقدة

---

(١) « تفسير القرطبي » (٤ / ٢٩) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه أبو داود ، والنسائي عن معقل بن يسار ، وانظر « صحيح الجامع » (٢٩٣٧) .

(٣) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٣) .

الكبيرة من المال » [١] .

« وحب المال : تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء ، فهذا مذموم ، وتارة يكون للنفقة في القربات ، وصلة الأرحام والقرابات ، ووجوه البر والطاعات ، فهذا ممدوح محمود شرعاً » [٢] .

﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ .

« يعني : الراعية في المروج والمسارح » [٣] .

﴿ وَالأَنْعَامِ ﴾ .

« يعني : الإبل ، والبقر والغنم ..... .

﴿ وَالْحَرْثِ ﴾ .

يعني : الأرض المتخذة للغراس والزراعة » [٤] .

« **قال العلماء:** ذكر الله تعالى أربعة أصناف من المال ،

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٣٠) .
(٢) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٣) .
(٣) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٣٣) .
(٤) « تفسير ابن كثير » (١ / ٣٠٤) .

كل نوع من المال يتموّل به صنف من الناس .

أما الذهب والفضة : فيتموّل بها التجار .

وأما الخيل المسومة : فيتمّول بها الملوك .

وأما الأنعام : فيتموّل بها أهل البوادي .

وأما الحرث : فيتمول بها أهل الرساتيق [١] ، فتكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتمول .

فأما النساء والبنون : ففتنة للجميع » [٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ .

« أي ما يُتمتع به فيها ثم يذهب ولا يبقى ، وهذا منه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة .

﴿ **وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ .

ومعنى الآية : تقليل الدنيا وتحقيرها ، والترغيب في

---

(١) الرساتيق : واحداها رستاق ، وهي السواد والقرى .

(٢) « تفسير القرطبي » (٤ / ٣٦) .

حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة »[١] .

وقوله تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ .

[الكهف: ٤٦] .

«وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا،لأنه في المال جمالاً ونفعاً ، وفي البنين قوة ودفعاً فصار زينة الحياة الدنيا، لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين؛ لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم »[٢] .

خير متاع الدنيا :

عن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا ، المرأة الصالحة** »[٣] .

الحديث : « فيه إيماء إلى أنها – أي المرأة الصالحة – أطيب الحلال في الدنيا ، أي لأنه سبحانه زيَّن الدنيا بسبعة

---

(١) « تفسير القرطبي »(٤ / ٣٦ ، ٣٧) .

(٢) « تفسير القرطبي »(١٠ / ٤١٣ ، ٤١٤) .

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم في كتاب « الرضاع » باب « متاع الدنيا » .

أشياء ذكرها بقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ ، وتلك السبعة هى ملاذها وغاية آمال طلابها ، وأعمها زينة وأعظمها شهوة : النساء ؛ لأنها تحفظ زوجها عن الحرام ، وتعينه على القيام بالأمور الدنيوية والدينية ، وكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهي محبوبة مرضية لله ، فصاحبها يلتذ بها من جهة تنعمه وقرة عينه بها ، ومن جهة إيصالها له إلى مرضاة ربه ، وإيصاله إلى لذة أكمل منها .

قال الطيبي : وقيد بالصالحة إيذاناً بأنها شر المتاع لو لم تكن صالحة .

وقال الأكمل : المراد بالصالحة : التقية المصلحة لحال زوجها في بيته ، المطيعة لأمره [(١)] .

ما يُعين على أمر الدنيا والآخرة :

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **قلب شاكر ولسان ذاكر وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك**

---

(١) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٨ ، ٥٤٩) .

ودينك : خير ما اكتنز الناس » (١) .

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ليتخذ أحدكم : قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة ، تعينه على أمر الآخرة »** (٢) .

« **فإن هذه الثلاثة جامعة لجميع المطالب الدنيوية والأخروية وتعين عليها وإنما كان كذلك :**

لأن الشكر : يستوجب المزيد .

والذكر : منشور الولاية .

والزوجة الصالحة : تحفظ على الإنسان دينه ودنياه وتعينه عليهما » (٣) .

وعن سليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ليكف**

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه البيهقي في « الشعب » وانظر « صحيح الجامع » (٤٢٨٥) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٢٣١) .

(٣) « فيض القدير » (٤ / ٥٢٥) .

الرجـل منكم كزاد الراكب » [(١)] .

« يعني : ليكفك من الدنيـا مـا يبلغك إلى الآخـرة ، فالمؤمن يتزود منها ، والفاجر يستمتع فيها ، والأصل أن من امتلأ قلبه بالإيمان استغنى عن كثير من مؤن دنياه ، واحتمل المشاق في تكثير مؤن أخراه .

وفيه تنبيه على أن الإنسان مسافر لا قرار له ، فيحمل ما يبلغه المنزلة بين يديه مرحلة مرحلة ، ويقتصر عليه .

كان بعض العارفين إذا انقضى فصل الشتاء أو الصيف يتصرف في الثياب الذي يلبسها في ذلك الفصل ولا يدخرها إلى الفصل الآخر » [(٢)] .

وكان بعض السلف يقول :

« **كل الدنيا فضول إلا خمس خصال** :

خبز يُشبعه ، وماء يرويه ، وثوب يستره ، وبيت يُكنّه ،

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه ابن ماجه ، وابن حبان ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٣٤١) .

(٢) « فيض القدير » (٥ / ٣٩٤) باختصار يسير .

وعلم يستعمله »[١] .

وقال سفيان بن عيينة :

« ليس من حب الدنيا طلبك منها ما لابد منه »[٢] .

موعظة :

« قال جابر بن عبد الله الأنصاري : خرجت مع عليّ رضي الله عنه إلى خارج المدينة ، فتفكرت في أحوال الدنيا وغرورها وفتنها لنا ، فقال : يا جابر إن الدنيا أحقر من أن يفتتن بها لبيب ، يا جابر إن لذاتها في ستة أشياء :

مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومنكوح ، ومشموم ، ومسموع .

فأما المأكول : فألين ما يؤكل من العسل ، وهو رجيع ذبابة .

---

(١) « الزهد الكبير » (١٤٢ ، ١٤٣) .

(٢) « الحلية » (٧ / ٢٧٣) .

وأما المشروب : فألذ ما يشـرب الماء ، وقد تساوى فيه جميع الحيوانات .

وأما الملبوس : فأفخر ما يُلبس الحرير ، ومخرجه من دودة .

وأما المنكـوح : فمبَالٌ في مبالٍ .

وأما المشموم : فأطيبه المسك ، وهو دم دابة .

وأما المسموع :فألذ ما يُسمع الوتر،وهو إثم كله» [(١)] .

(١) « المواعظ والمجالس » لابن الجوزي ، تحقيق محمد إبراهيم سنبل (٤٤ ، ٤٥) ، دار الصحابة للتراث بطنطا .

[٦] علم الدنيا وعلم الآخرة

اعلم رحمك الله تعالى :

أن علم الدنيا « هو معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره ويستدل عليه بجنسه ونوعه ، كعلم الطب والهندسة »[(١)] .

« قال أبو إسحاق الحوفي : العلوم ثلاثة : علم دنيوي ، وأخروي ، وعلم لا للدنيا ولا للآخرة .

فالعلم الذي للدنيا : علم الطب والنجوم ، وما أشبه ذلك .

والعلم الذي للدنيا والآخرة : علم القرآن والسُّنن ، والفقه فيهما .

والعلم الذي ليس للدنيا ولا للآخرة : علم الشعر

---

(١) « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (٢ / ٣٧) دار الكتب العلمية – بيروت .

والشغل به » [١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - :

« والعلم ما قام عليه الدليل ، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ وقد يكون علم من غير الرسول لكن ، لكن في أمور « دنيوية » مثل : الطب، والحساب ، والفلاحة ، والتجارة » [٢] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يبغض كل: جعظرىً جوَّاظٍ ، سخّاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار ،عالم بالدنيا ،جاهل بالآخرة** » [٣] .

وعنه ، عن النبي ﷺ : « **إن الله يبغض كل عالم بالدنيا ، جاهل بالآخرة** » [٤] .

---

(١) « جامع بيان العلم وفضله » (٢ / ٤٠) .

(٢) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » (١٣ / ١٣٦) .

(٣) **حديث صحيح** : أخرجه البيهقي في « السنن »وانظر « صحيح الجامع» (١٨٧٤) ، و«السلسلة الصحيحة » (١٩٥) .

(٤) **حديث صحيح** : أخرجه الحاكم في « تاريخه » وانظر «صحيح الجامع» (١٨٧٥) .

الجعظري : الفظ الغليظ المتكبر .

الجـواظ : الجموع المنوع .

السخاب : كالصخاب ، كثير الضجيج والخصام .

جيفـــة : أي كالجيفة ، لأنه يعمل كالحمار طوال النهار لدنياه ، وينام طوال ليلة كالجيفة التي لا تتحرك ... .

قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ تعالى :

« قلت : وما أشد انطباق هذا الحديث على هؤلاء الكفار الذين لا يهتمون لآخرتهم ، مع علمهم بأمور دنياهم ، كما قال تعالى فيهم : ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴿٧﴾ ﴾ .

[الروم : ٧] .

ولبعض المسلمين نصيب كبير من هذا الوصف ، الذين يقضون نهارهم في التجول في الأسواق والصياح فيها ، ويضيعون عليهم الفرائض والصلوات ، ﴿ **فَوَيْلٌ**

لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

[الماعون : ٤ - ٧] [(١)] .

قال الزرنوجي رحمه الله تعالى :

« وأما تعلم علم الطب فيجوز ؛ لأنه سبب من الأسباب ، فيجوز تعلمه كسائر الأسباب ، وقد تداوي النبي ﷺ » .

وحُكي عن الشافعي رحمه الله أنه قال :

« العلم علمان : علم الفقه للأديان ، وعلم الطب للأبدان ، وما وراء ذلك بلغة مجلس » [(٢)] .

ومما ينبغي أن يُعلم :

أن هذا الذم في حق المسلمين ليس على إطلاقه ،

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة « ٣٣٢/١ » .

(٢) « تعليم المتعلم في طريق التعلم » للزرنوجي / تحقيق صلاح محمد الخيمي ، ونذير حمدان (٣٣) دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .

بمعنى أنه إذا كان المسلم ممن يشتغل في علم من العلوم الدنيوية المعروفة كالطب والحساب والهندسة وهو غير ملتفت لآخرته ، فإن الذم يلحقه ، وإلا فلا .

وينبغي أن يُعلم أيضاً :

أن هذه الأحاديث لا تعارض ما رواه مسلم : عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون ، فقال : « **لو لم تفعلوا لصلح** » ، قال : فخرج شيصاً ، فمر بهم ، فقال : « **ما لنخلكم ؟** » قالوا : قلت كذا وكذا ، قال : « **أنتم أعلم بأمر دنياكم** » (١) .

فإن المخاطَبين بهذا الوصف « **أنتم أعلم بأمر دنياكم** » إنما هم أرادوا الله تعالى والدار الآخرة وعملوا لها ، وعلمهم بأمور دنياهم لم يكن لذاته ، وإنما لما يتحقق به المعاش في هذه الحياة الدنيا .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم في كتاب « الفضائل » ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً ... » .

[٧] أهل الدنيا وأهل الآخرة

اعلم رحمك الله تعالى :

إن أهل الدنيا : هم الذين تلبسوا بها ، واغتروا بمتاعها وزينتها ، فنسبوا إليها ...

قال الله تعالى :

﴿ **فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ** ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

« كانت العرب في الجاهلية تدعوا في مصالح الدنيا فقط ، فكانوا يسألون الإبل ، والغنم والظفر بالعدو ، ولا يطلبون الآخرة ، إذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها ، فنُهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بأمر الدنيا ، وجاء النهى في صيغة الخبر عنهم ، ويجوز أن يتناول هذا الوعيد المؤمن أيضاً إذا قصر دعواته في الدنيا ، وعلى هذا فـ ﴿ **وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ** ﴾ أي كخلاق الذي يسأل الآخرة ،

والخلاق : النصيب »[١] .

وأهل الآخرة : هم الذين آثروا الدار الآخرة على الحياة الدنيا .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)** ﴾ .

[البقرة : ٢٠١] .

أي من الناس ، وهم المسلمون يطلبون خير الدنيا والآخرة .

قال قتادة : حسنة الدنيا : العافية في الصحة ، وكفاف المال .

وقال الحسن : حسنة الدنيا : العلم والعبادة ، وقيل غير هذا .

والذي عليه أكثر أهل العلم ، أن المراد بالحسنتين : نعم الدنيا والآخرة .

---

(١) تفسير القرطبي (٢ / ٤٣٢) .

وهذا هو الصحيح ؛ فإن اللفظ يقتضي هذا كله ؛ فإن « حسنة » نكرة في سياق الدعاء ، فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل .

وحسنة الآخرة : الجنة بإجماع .

وقيل : لم يرد حسنة واحدة ، بل أراد : أعطنا في الدنيا عطية حسنة .

هذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة قيل لأنس : ادع الله لنا ، فقال : « اللهم آتنا في الدنيا حسنة ،وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، قالوا : زدنا ، قال : ما تريدون ؟ قد سألت الدنيا والآخرة »[(١)] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥)** ﴾ .

[آل عمران : ١٤٥] .

---

(١) « تفسير القرطبي » (٢ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) باختصار .

وقال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)** ﴾ .

[النساء : ١٣٤] .

قال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥)** ﴾ .

[هود : ١٥] .

« أي من عمل بما افترضه الله عليه طلباً للآخرة أتاه الله ذلك في الآخرة ، ومن عمل طلباً للدنيا أتاه بما كتب له في الدنيا وليس له في الآخرة من ثواب ؛ لأنه عمل لغير الله ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴾ [الشورى : ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ** ﴾ [هود : ١٦] .

وعلى هذا يكون المراد بالآية : المنافقون والكفار .

وروى أن المشركين كانوا لا يؤمنون بالقيامة ، وإنما

يتقربون إلى الله تعالى ليوسع عليهم في الدنيا ويرفع عنهم مكروهاً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** (١٣٤) ﴾ [النساء : ١٣٤] .

أي : « يسمع ما يقولونه ، ويبصر ما يُسرونه » (١) .

---

(١) « تفسير القرطبي » (٥ / ٤١٠) .

اليأس من الدنيا

[لأبي العتاهية] (١)

قَطَعْتُ مِنْكِ حَبائِلَ الآمالِ ،
وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ المَطِيِ رِحالي
وَيَئِسْتُ أنْ أبقَى لشيءٍ نِلتُ مِمّا
فيكِ ، يا دُنيا ، وأَنْ يَبقَى لي
فَوَجَدْتُ بَرْدَ اليَأسِ بين جَوانحي ،
وأَرَحْتُ مِنْ حلَى وَمِنْ تَرْحالي

---

(١) أبو العتاهية :

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي « من قبيلة عنزة » بالولاء أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية ولد بعين تمر ونشأ بالكوفة ثم سكن بغداد وتوفي بها في جمادى الآخرة – ترجم له الذهبي في سير النبلاء جزء (١٠ : ١٩٥) والطبري في الأمم (١٠ : ٢٧٨) والمسعودي في مروج الذهب (٣ : ٣٢٧) والأصفهاني في الأغاني والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد جزء (٦ :٢٥٠) ، وابن خلكان في وفيات الأعيان جزء (١ :٢١٩ :٢٢٦) وابن حجر في لسان الميزان جزء (١ :٤٢٦ : ٤٢٩) وابن كثير في البداية والنهاية (١٠ : ٢٦٥ : ٢٦٦) .

وَلَئِنْ يَئِسْتُ ، لَرُبَّ بَرْقَةِ خُلَّبِ ،
بَرَقَتْ لذي طَمَعٍ ، وَبَرْقَةِ آلِ

ما كانَ أشأمَ ، إذْ رَجاؤكِ قاتلي ،
وَبَنَاتُ وَعْدِكِ يَعْتَلِجْنَ بَبَالي

فالآن ، يادُنَيا ، عَرَفَتُكِ فاذهبي ،
يا دار كُلِّ تشَتَتٍ وَزَوَالِ

والآن صارَ لَي الزّمانُ مؤدّباً ،
فَغَداْ عَليّ وَرَاحَ بالأمْثَالِ

والآن أبصّرْتُ السَبيلَ إلى الهُدَى ،
وَتَفَرّغَتْ هِمَتي عَنِ الأشغالِ

وَلَقَدْ أقامَ لَي المَشيبُ نُعاتُه ،
يُفْضي إليّ بمَفْرِقٍ وَقَذالِ (١)

---

(١) القذال : مؤخر الرأس .

وَلَقَدْ رأَيْتُ المَوْتَ يُبرِقُ سَيْفَهُ
بيَدِ المَنِيةِ : حَيثُ كنتُ ، حيالى
وَلقد رأَيْتُ عُرَى الحيَاة تَخَرَّمَتْ ،
وَلَقَدْ تَصَدّى الوَارِثُون لمَالي [(١)]
وَلَقَدْ رَأيتُ على الفَنَاءِ أدلّةً ،
فيما تَنَكَّرَ مِنْ تَصَرّفِ حالي
وَإذا اعتَبْرتُ رَأيتُ خَطبَ حوادثٍ
يَجرينَ بالأرْزاقِ ، وَالآجالِ
وإذا تَنَاسبتِ الرّجالُ ، فما أَرَى
نَسَباً يُقاسُ بصالِحِ الأَعْمالِ
وَإذا بحَثْتُ عَنِ التّقيّ وَجَدْتُهُ
رَجُلاً ، يُصَدّقُ قَوْلَهُ بِفَعَالَ

(١) تخرمت : تقطعت .

وَإذا اتَّقَى الله امْــرُؤٌ ، وَأطاعَــهُ ،
فَــيَــداهُ بَيْنَ مَكارِمٍ وَمَــعَــالِ
وَعلى التّقيِّ ، إذا تَرَسّخَ في التّقَى،
تاجــان : تاجُ سَكينَةٍ ، وَجَــلالِ
وَاللّيْلُ يَذْهَبُ وَالنّهــارُ ، تَعــاوُراً
بالخلْق في الإدْبارِ ، وَالإقــبـالِ(١)
وَبحَسْبِ مَنْ تُنْعَى إلْيــهِ نَفْسُــهُ
مِنْهُ بِأيّامٍ خَلَتْ ، وَلَيَــــالِ
إضرِبْ بطَرْفِكَ حيثُ شئتَ، فأنت في
عِـــبَـــرٍ لَهُنّ تَدارُكٌ ، وَتَوالِ
يَبكي الجَديدُ وأَنتَ في تجْديدِه ،
وجَمِيعُ ما جَدّدْتَ منه ، فبَالِ

---

(١) تعاوُراً : مناوبة .

يا أيّها البَطِرُ الذي هوَ في غَدٍ ،
في قبرِهِ ، مُتَفَرِّقُ الأوْصالِ

حَذَفَ المُنى عَنهُ المُشَمِّرُ في الهُدى ،
وأرَى مُنَاكَ طَويلَةَ الأزيالِ

وَلَقَلَّ ما تَلْقَى أغَرَّ لنَفْسِه
مِنْ لاعِبٍ مَرِحٍ بها ، مُختالِ

يا تاجِرَ الغَيِّ المُضِرَّ بِرُشْدِهِ ،
حتى متى بالغَيِّ أنْتَ تُغالي

الحَمْدُ لله الحَميدِ بِمَنِّهِ
خَسِرَتْ ، ولم تَرْبَحْ يَدُ البَطَّالِ

لله يَوْمٌ تَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ ،
وتَشيبُ مِنْهُ ذَوائِبُ الأطْفالِ

يَوْمُ النَّوازِلِ والزَّلازِلِ والحَوا
مِلِ فيهِ ، إذْ يَقْذِفْنَ بالأحْمالِ

يَوْمُ التَّـغـابُنِ ، والتَّـبـايُنِ والتنَا
زُلِ ، والأُمُورِ عَظيمَـةِ الأَهْوَالِ (١)
يَوْمٌ يُنَادي فـيـه كُلُّ مُـضَلَّلٍ
بمُقَطَّعَـاتِ النّار ، والأَغْـلالِ
للمُـتَّـقِينَ هُناكَ نزْلُ كَـرامَـةٍ ،
عَلَتِ الوُجُوهَ بنَضـرَةٍ ، وَجَـمَـالِ
زُمَرٌ أضاءَتْ للحِساب وَجُوهُها ،
فَلَهَـا بَريقٌ عِندَها وتَلالي
وَسَـوَابِقٌ غُـرٌّ ، مُـحَـجَّلَةٌ ، جـرَتْ
خُمْصَ البُطون ، خَفيفَةَ الأثقالِ
مِنْ كُلّ أشعَثَ كانَ أغبرَ ناحلاً ،
خَلَقَ الرّداءِ ، مُـرَقَّعَ السِّرْبال (٢)

---

(١) التغابن : من تغابن القوم : خدع بعضهم بعضاً .
(٢) السربال : القميص .

حِيَلُ ابن آدَمَ في الأُمورِ كَثيرةٌ ،
وَالمَوْتُ يَقطعُ حِيلَةَ المُحْتَالِ
نَزَلُوا بأكْرَمِ سَيِّدٍ ، فأظَلَّهُمْ
في دارِ مُلْكٍ جَلالَةً ، وَظِلالِ
وَمِنَ النَّعاةِ إلى ابن آدَمَ نَفْسَهُ ،
حَرَكُ الخُطى ، وَطلوعُ كلّ هِلالِ
ما لي أرَاكَ لحُرّ وَجْهِكَ مُخْلقاً ،
أخْلَقْتَ ، يا دُنْيا ، وُجُوهَ رِجالِ
قِسْتَ السّؤالَ ، فكانَ أعظَمَ قيمةً
مِنْ كُلّ عارِفَةٍ جَرَتْ بسُؤالِ
كُنْ بالسّؤالِ أشَدّ عَقْدِ ضَنَانَةٍ ،
مِمَّنْ يَضِنّ عَلَيكَ بالأمْوَالِ
وَصُنِ المَحامِدَ ما استَطَعتَ ، فإنّها
في الوَزْنِ تَرْجُحُ بذلَ كلّ نَوالِ

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ المُثَمِّرِ مالَه ،
نسيَ المُثَمِّرُ زينَةَ الإقْلالِ
وَإذا امْرُؤٌ لَبِسَ الشّكوكَ بعَزْمِه ،
سَلَكَ الطّريقَ على عُقودِ ضَلالِ
وَإذا ادّعَتْ خُدَعُ الحوادِث قَسوَةً ،
شَهِدَتْ لهُنّ مَصارِعُ الأبْطالِ
وَإذا ابُتليت ببَذْلِ وَجْهكَ سائلاً ،
فابْذُلْه للمُتَكَرِّمِ ، المِفْضالِ
وَإذا خَشيتَ تَعَذّراً في بَلْدَة ،
فاشْدُدْ يَدَيْكَ بعاجِلِ التَّرْحالِ
وَاصْبِرْ على غَيرِ الزّمانِ ، فإنّما
فَرَجُ الشّدائدِ مِثلُ حَلِّ عِقالِ

إنقسام أهل الدنيا :

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - :

« وانقسم بنو آدم فى الدنيا إلى قسمين :

أحدهما :

من أنكر أن يكون للعباد دار بعد الدنيا للثواب والعقاب، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) ﴾ .

[يونس : ٧ ، ٨] .

وهؤلاء همهم التمتع فى الدنيا ، واغتنام لذاتها قبل الموت ، كما قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] .

ومن هؤلاء من كان يأمر بالزهد في الدنيا ؛ لأنه يرى أن الاستكثار منها موجب الهم والغم ، ويقول : كلما كثر التعلق بها ، تألمت النفس بمفارقتها عند الموت ، فكان هذا غاية زهدهم في الدنيا .

والقسم الثاني :

من يقر بدار بعد الموت للثواب والعقاب ،وهم المنتسبون إلى شرائع المرسلين ، وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام :

[أ] ظالم لنفسه .

[ب] مقتصد .

[جـ] وسابق بالخيرات بإذن الله [١] .

[أ] الظالم لنفسه :

والظالم لنفسه : هم الأكثرون منهم ، وأكثرهم

---

(١) يشير بذلك إلى قول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) ﴾ [فاطر : ٣٢] .

واقف مع زهرة الدنيا وزينتها ، فأخذها من غير وجهها ، واستعملها في غير وجهها ، وصارت الدنيا أكبر همه ، بها يرضى ، وبها يغضب ، ولها يوالي ، وعليها يعادي .

وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب ، والزينة والتفاخر والتكاثر ، وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا ، ولا أنها منزلة سفر ، يتزود منها لما بعدها من دار الإقامة ، وإن كان أحدهم يؤمن بذلك إيماناً مجملاً ، فهو لا يعرفه مفصلاً ، ولا ذاق ما ذاقه أهل المعرفة بالله في الدنيا ، مما هو أنموذج ما ادُّخر له في الآخرة .

[ب] المقتصد :

والمقتصد منهم : أخذ الدنيا من وجوهها المباحة ، وأدى واجباتها ، وأمسك لنفسه الزائد على الواجب يتوسع به في التمتع بشهوات الدنيا .

وهؤلاء قد اختلف في دخولهم في اسم الزهاد في الدنيا ، ولا عقاب عليهم في ذلك ؛ إلا أنه ينقص من

درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم في الدنيا .

قال ابن عمر : لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاتـه عند الله ، وإن كان كريماً عليه ... .

[جـ] السابق بالخيرات بإذن الله :

وأما السابق بالخيرات بإذن الله : فهم الذين فهموا المراد من الدنيا ، وعملوا بمقتضى ذلك ، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده في هذه الدار ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ .

[هود : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الملك : ٢] .

وقال بعض السلف : « أيهم أزهد في الدنيا ، وأرغب في الآخرة » .

وجعل ما في الدنيا من البهجة والنضرة محنة ، لينظر

من يقف منهم معه ويركن إليه ، ومن ليس كذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** (٧) ﴾ [الكهف : ٧] .

ثم بين انقطاعه وإنفاذه ، فقال : ﴿ **وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً** (٨) ﴾ [الكهف : ٨] .

فلما فهموا أن هذا هو المقصود من الدنيا ، جعلوا همهم التزود منها للآخرة، التي هي دار القرار،فاكتفوا من الدنيا بما يكتفى به المسافر في سفره ،كما كان النبي ﷺ يقول: « **ما لي وللدنيا ، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة** (١) **، ثم راح عنها وتركها** » (٢) .

ووصى ﷺ جماعة من الصحابة أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد راكب » (٣) .

---

(١) قال في ظل شجرة : يعنى نام بعد الظهر في ظل شجرة . من القيلولة .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » «٥٥٤٤» و«السلسلة الصحيحة » « ٤٣٨ » .

(٣) « جامع العلوم والحكم » للحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه الحديث « ٣١ » .

عقوبـــة أهـــل الدنيـــا

توعـد الله تعـالى أهل الدنيـا الذين آثروها على الدار الآخرة ، ورضوا واطمأنوا بها ... .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[يونس : ٧ ، ٨] .

« يقول تعالى مخبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ، ولا يرجون في لقائه شيئاً ، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها نفوسهم .

قال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها، وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها ،

والشرعية فلا يأتمرون بها .

فإن مأواهم يوم معادهم النار ، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام مع ماهم فيه من الكفر بالله ورسله واليوم الآخر »[1] .

وقال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى : ٢٠] .

« أي من طلب بما رزقناه حرثاً لآخرته ، فأدى حقوق الله ، وأنفق في إعزاز الدين ، فإنما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشراً إلى سبعمائة فأكثر .

﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ** ﴾ :

أي طلب بالمال الذي آتاه الله رياسة الدنيا والتوصل إلى المحظورات ، فإنا لا نحرمه الرزق أصلاً ، ولكن لا حظ له

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٣٥١) .

في الآخرة أصلاً ... .

قال القشيري : والظاهر أن الآية في الكافر ، يوسع له في الدنيا ، أي لا ينبغي له أن يغتر بذلك ؛ لأن الدنيا لا تبقى »[1] .

وقال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩)** ﴾ [الإسراء : ١٨ ، ١٩] .

« يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له ، بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء ، وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات ؟ ، فإنه قال :

﴿ **عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ** ﴾ : أي في الآخرة.

---

(١) « تفسير القرطبي » (١٦ / ١٨)

﴿ يَصْلاهَا ﴾ : أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه .

﴿ مَذْمُومًا ﴾ : أي في حال كونه مذموماً على سوء تصرفه وصنيعه ، إذا اختار الفاني على الباقي .

﴿ مَّدْحُورًا ﴾ : مبعداً مقصياً حقيراً ذليلاً مهاناً ... .

وقوله : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ ﴾ : أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور .

﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ : أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ .

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ : أي قلبه مؤمن ، أي مصدق موقن بالثواب والجزاء ﴿ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧ ، ٣٩] .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٣/٣١ ، ٣٢)

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴾ : أي تمرد وعتي .

﴿ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ : أي قدمها على أمر دينه وأخراه .

﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ : أي فإن مصيره إلى الجحيم، وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم »[١] .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك منه استدراج** »[٢] .

« أي أُخذ بتدريج واستنزال من درجة إلى أخرى ، فكل فعل معصية قابلها بنعمه وأنساه الاستغفار ، فيدنيه من العذاب قليلاً قليلاً ، ثم يصبه عليه صباً .

قال إمام الحرمين : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٤١٠) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه أحمد في « المسند » والطبراني في « الكبير » والبيهقي في « الشعب » ، وانظر « صحيح الجامع » (٥٧٥) .

في النار ، فلا تأمن على نفسك ؛ فإن الأمر على خطر ، فلا تدري ماذا يكون وما سبق لك في الغيب ، ولا تغتر بصفاء الأوقات ؛ فإن تحتها غوامض الآفات ... .

والاستدراج : الأخذ بالتدريج لا مباغتة .

والمراد هنا : تقريب الله العبد إلى العقوبة شيئاً فشيئاً .

واستدراجه تعالى للعبد : أنه كلما جدد ذنباً ، جدد له نعمة ، وأنساه الاستغفار ، فيزداد أشراً وبطراً ، فيندرج في المعاصي بسبب تواتر النعم عليه ؛ ظاناً أن تواترها تقريب من الله ، وإنما هو خذلان وتبعيد »[1] .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **من كانت الآخرة همَّه : جعل الله غناه في قلبه ، وجمع شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همَّه : جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من**

---

(١) « فيض القدير » (١/٣٥٥) .

الدنيا إلا ما قُدر له » [١] .

وهذا الحديث أبلغ في زجر من جعل الدنيا همَّه ونيته ، إذ لا يناله منها إلا ما كتبه الله تعالى له ، مع ما يجازيه به الله تعالى من تفريق شمله ، ولزوم الفقر له .

موعظة :

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

« ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل » [٢] .

وقال الحسن رضي الله عنه :

« إذا رأيت الناس يتنافسون في الدنيا فنافسهم في

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذي، وانظر «صحيح الجامع » (٦٣٨٦) و« السلسلة الصحيحة » (٩٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في « كتاب الرقائق » « باب في الأمل وطوله » .

الآخرة ؛ فإنها تذهب دنياهم وتبقى الآخرة »[١] .

الآخرة أقرب من الدنيا :

قال محمد بن الحسين : حدَّثني فُضيل بن عبد الوهاب قال :

سمعت أختي يوماً تقول :

الآخرة أقرب من الدنيا ، وذلك أن الرجل يهمُّ بطلب الدنيا فلعلَّه أن ينشئ لذلك سفراً يكون فيه تعبُ بدنه وإنفاقُ ماله ثمَّ لعله أن لا ينال بُغيته .

والرجل يطلب الآخرة ، فمنتهى طلبه في حُسن نيته حيث ما كان ؛ من غير أن ينشئ سفراً أو ينفق مالاً أو يُتعِب بدناً ، ما هو إلا أن يُجمع على طاعة الله ، فإذا هو قد أدرك ما عند الله .

---

(١) « الزهد » لأحمد (٣٩٩) .

قال : وسمعتها تقول : ما بيننا وبين أن نرى السرور أو ننادى بالويل والثبور إلا خروج هذه الأرواح من الأبدان ، فانظروا أىّ عبيدٍ تكونون حينئذ ؟ .

قال : ثم صرخت وغُشىَ عليها [١] .

(١) صفة الصفوة « ٢/١٨٩ - ١٩٠ »

يا جامع المال لوارثه
لأبي العتاهية

أمّا بيوتكَ ، في الدّنيا ، فواسعةٌ ،
فَلَيْتَ قبرَكَ بَعدَ المَوْتِ يَتّسِعُ
وَلَيتَ ما جَمَعَتْ كفّاكَ من نَشَبٍ
يُنجيكَ منْ هَوْلِ ما أنتَ لُمطّلِعُ
أيَفْرَحُ النّاسُ بالدّنْيا ، وَقد عَلموا
أنّ المَنازِلَ ، في لذّاتِنا ، قُلَعُ
مَنْ كانَ مُغْتَبِطاً فيها بمَنزِلَةٍ ،
فإنّهُ لسِواها سَوْفَ يَنْتَجِعُ
وكُلُّ ناصِرِ دُنْيا سَوْفَ تَخْذُلُهُ ،
وكلُّ حَبْلٍ عَلَيها سَوْفَ يَنقَطِعُ

مالي أرَى النّاسَ لا تَسلُو ضَغائنُهُمْ
وَلا قُلُوبُهُمُ في اللهِ تَجْتَمِعُ
إذا رأيتَ لهمْ جَمْعاً تُسَرّ به ،
فإنّهُمْ حِينَ تَبلُو شأنهُمْ شِيَعُ
يا جامعَ المالِ، في الدّنْيا ، لوارِثِه ،
هلْ أنتَ بالمالِ ، بعد الموْتِ تَنتَفِعُ
لا تُمسِكِ المالَ ، واسْترضِ الإلَهَ به،
فإنّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرّيُّ والشّبَعُ